مسؤولية الأسرة والمجتمع في تربية الأطفال وآفاقهم المستقبلية في ظل عالم متغير

د.صالح سمير نصار
جامعة السابع من أبريل

المقدمة :

تعتبر تربية الأطفال ورعايتهم من المسائل المهمة التي تتطلب منا الكثير من الفهم والإلمام لمختلف مجالات رعاية الطفل ، وتطوير الأساليب العلمية والعملية الناجحة لتقديم رعاية أفضل للطفل في مختلف مجالات ومتطلبات حياته ، وبما يتلاءم مع حالته الصحية والجسمية والعقلية وظروفه الاجتماعية والنفسية .

ويُعد مجال رعاية الطفل ، الاهتمام به من المجالات الأساسية التي لها أبعادها المهمة على مستوى الطفل ذاته ومستقبل حياته ، وملامح شخصيته من جانب ، وعلى مستوى المجتمع ككل وعلى مختلف أوجه الحياة دون استثناء لأي مجال من مجالاتها ولاوجه من وجوهها .

لقد حظي موضوع الطفل ورعايته باهتمام واسع النطاق محلياً ودولياً ، وذلك لأن الاهتمام بالطفل ورعايته يرتبط بالبدايات الأولى لحياة الإنسانية الذي هو جوهر الحياة وهو هدف كافة مشاريع وبرامج التنمية .

كما أن تقدم أي مجتمع مَن المجتمعات يستند إلى حد كبير على مدى اهتمامه

بالبرامج المختلفة التي يضعها من أجل الاستفادة القصوى من إمكانياته وموارده البشرية في توجيه وتنمية هذه الإمكانيات على أسس سلمية وهادفة تضمن تحقيق استفادة المجتمع من هذه الطاقات للوصول إلى مجتمع أفضل يحقق للأفراد جميعاً مستقبلاً أفضل ، وبالقدر الذي ينجح فيه المجتمع في تنمية هذه الموارد وإجادة استخدامها ورعايتها والحفاظ عليها , يؤكد نجاحه وقدرته على توفير الكثير من العناصر البشرية والطاقات اللازمة لقيادة عجلة التنمية ، وتحمل مسؤولية بناء المجتمع وتقدمه ، وبالمقابل فإن المجتمع الذي يكون عاجزاً عن استثمار الموارد البشرية الموجودة وتوجيهها لخدمة مسيرة المجتمع التنموية ، فإنه يؤكد خسارته لهذه الموارد المهمة ، وتشكل هذه الحالة عبئاً على المجتمع نفسه ، وتخلق العديد من المشكلات التي عليه مواجهتها ، مثل تخلف خدمات الرعاية المختلفة والمشاكل المترتبة عن إهمال رعاية العنصر البشري بدءاً من مرحلة الطفولة ، وعلية فإن رعاية الطفولة على أسس سلمية وناجحة تضمن لة في المستقبل موارد بشرية وطاقات عظيمة يمكن له الاستفادة منها ، ولذلك مثلت رعاية الطفولة والاهتمام بها ضرورة أساسية لكل مجتمع من المجتمعات ، لأن طبيعة الحياة ودوام استمراريتها في المجتمع تقضي نقل تراث المجتمع من جيل إلى جيل اخر ، والتمكن من بناء الإنسان القادر على المساهمة الايجابية الفاعلة فى تنمية المجتمع بجوانبه المختلفة والنهوض به ، وهذا لا يتم إلا بتظافر كافة الجهود ، وخاصة الجهود المتعلقة بالأسرة و المجتمع ، وما يؤديه هذا الترابط من نتائج إيجابية تلمس أثارها على رعاية الطفولة .

وقد تضمن البحث خمسة محاور ، تناول المحور الأول الطفولة تعريفها ، وأهميتها ، بينما تناول المحور الثاني الأسرة تعريفها ودورها في رعاية الطفولة . أما المحور الثالث فقد تناول المجتمع تعريفه ودوره في رعاية الطفولة والاهتمام بها ، وتضمن المحور الرابع أهمية التكامل بين الأسرة والمجتمع ، وانعكاس ذلك على تربية الأطفال . أما المحور الخامس فتضمن الآفاق المستقبلية لرعاية الطفولة في ظل عالم متغير .

أولا : الطفولة , مفهومها , وأهميتها :

يعتبر وجود الأطفال في الأسرة من أكثر ألأهداف التي يتمنى أي شخصين متزوجين حديثاً تحقيقها بعد سنة واحدة من زواجهما على أمل أن السعادة الحقيقية التي تكمن خلف هذا الزواج تبدأ ملامحها مع الصرخة الأولى لأول طفل ينعم الله به عليهما ، ويرى كثير من المتزوجين أن متعة الزواج لا تكتمل ألا بإنجاب الأطفال ، لأنهم سنة الحياة وامتداد لكيان الأسرة عبر أجيالها التالية والمتعاقبة ، وهذا ليس بجديد في مجال العلاقات الأسرية ، ولكنه أساس جوهري فيها ، لأن الله سبحانه وتعالى وضحه وبينة في آياته الكريمة ، حيث قال الله عز وجل ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا** ﴾ سورة النحل ،الآية(72) . وقد أوضح الحق عز وجل متعة وجود الأولاد في الأسرة بقولة تعالى ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ سورة الكهف، الآية(46) .

ويُعّرف غالبية المختصين الطفولة بأنها : المرحلة العمرية التي تمتد فيما بين الميلاد , وحتى سن الثانية عشرة (2) .

وتُعّرف الاتفاقية الدولية لرعاية الطفولة الصادرة في 20/11/1989م ، الطفولة بأنها : " **كل إنسان يقل عمره عن 18 سنة** ", واعتبرت اللجنة الوطنية الدائمة لرعاية الطفولة في الجماهيرية مرحلة الطفولة من المراحل التي يمر بها الإنسان منذ الولادة وتنتهي مع بداية مرحلة الشباب ،وقبل بلوغ الطفل سن الخامسة عشرة ، وهي المرحلة الأساسية في بناء الفرد المتأثر بعاملي الوراثة والبيئة ، والتي تتطلب رعاية وعناية خاصة لتحقيق نموه المتكامل ، وإكسابه الشخصية السوية (3) .

وعادة ما تقسم الطفولة إلى عدة مراحل وهي مرحلة الرضاعة والتي تبدأ من الميلاد

---

1. ماهر محمود عمر., سيكولوجية العلاقات الاجتماعية الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية, 1990, ص466.
2. عزيز سمارة و آخرون, سيكولوجية الطفولة عمان: دار الفكر, 1989, ص25.
3. عبد السلام الدويبي, حقوق الطفل ورعايته, دار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الأعلام, مصراتة, الطبعة الأولى, 1992, ص12.

وحتى سن الثانية ، ومرحلة الطفولة المبكرة وتبدا من سن الثالثة وحتى سن الخامسة ، ومرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة وتبدأ من سن السادسة وحتى الثانية عشرة ، ومرحلة الطفولة بأطوارها هذه تعد من أهم مراحل حياة الإنسان على الإطلاق ، إذ يتم خلالها تكوين وتحيد معالم شخصية الفرد ومستقبلة إلى حد بعيد ، وخلالها إما أن تنجح المؤسسات الاجتماعية المناط بها مسؤولية تنشئة الطفل فيصبح حينذاك إنساناً سوياً قادراً على التكيف مع واقع مجتمعة ، وإما أن تفشل فينشأ غير سوي يعاني من سوء التكيف ،وبالتالي يمثل عبئاً ومشكلة على نفسه وعلى مجتمعه (4).

وتكاد تجمع الكتب والدراسات والبحوث النفسية والتربوية على أهمية مرحلة الطفولة في حياة الفرد، بالنسبة لمراحل نموه اللاحقة وباعتبارها المرحلة التي تنطبع وقائعها وأحداثها وخبراتها في نفس الفرد، ويستمر تأثير هذه الوقائع والأحداث والخبرات في حياة الفرد بكافة جوانبها وإلى اخر يوم فيها ، وباعتبارها المرحلة التي تتكون فيه المعالم الأساسية لشخصية الفرد ، وتنفتح فيها استعداداته ومواهبه ، ويوضح فيها الأساس لاتجاهاته وأخلاقه ، وباعتبارها المرحلة التي تكون شخصية الفرد فيها عجينه لينة مرنة, يسهل تشكيلها وطبعها بالطابع الذي يرغب فيه القائمون على تربية وتنشئة ورعاية الفرد في هذه المرحلة، والإيمان بأهمية مرحلة الطفولة وخطورتها في حياة الفرد يقتضي إعطاء الاهتمام الكافي والمناسب لرعاية الطفولة لضمان شبيبة وكهولة صالحتين، بل لضمان شيخوخة صالحة .(5)

ونظراً لأهمية هذه المرحلة في حياة الفرد والمجتمع ، لذلك يجب التعامل معها بحذر، ومعالجة ما يحصل خلال هذه المرحلة من أنماط سلوكية معالجة تربوية دقيقة ؛ ذلك أن جميع الأطفال يمرون بفترات من الصعوبات السلوكية والانفعالية ، وتظهر بعض الدراسات أن كلاً من الذكور والإناث يعانون من مشكلات سلوكية خلال مرحلة ما

4. قائد احمد الشربي, "التنشئة الاجتماعية للطفل في قرية ليبية بين الأمس و اليوم" في مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية, السنة الثالثة, تصدر عن الهيئة القومية للبحث العلمي, 1997, ص262-263.

5. عمر محمد التومي الشيباني, من أسس رعاية الطفولة العربية, منشورات جامعة الفاتح, 1992, ص 69.

قبل المدرسة الابتدائية ، وتتحقق درجة انتشار هذه الصعوبات السلوكية مع التقدم في العمر بالنسبة للأطفال في سن المدرسة لذا نجد أن الأطفال الأصغر الذين تتراوح أعمارهم ما بين (6-8) سنوات يفوقون الأطفال الأكبر عمراً الذين هم ما بين (9-12) سنة في عدد المشكلات السلوكية ، كما أن ظهور المشكلات السلوكية أكثر شيوعاً ما بين الذكور منه بين الإناث ، وفي هذا المجال تقول (**أنا فرويد**) إن تحديد الحد الفاصل مابين الصحة العقلية والمرض هو أصعب في مرحلة الطفولة من المراحل اللاحقة ، وأن الفرق بين السلوك السوي والسلوك غير السوي هو فرق في الدرجة ، أي في مدى تكرار السلوك الذي يؤدي إلى حدوث مشكلة للطفل أو الأهل والمجتمع وإذا كان عدم الارتياح الناتج عن السلوك بالنسبة للطفل أو الآخرين باستمرار ، وكان شديداً بطبيعته أصبح من الضروري الحصول على إرشاد نفسي متخصص ، أو علاج نفسي للطفل وللأسرة ، وكلما زاد ما يظهره الطفل من سلوك غير سوي ، وكان سلوكه لا يتناسب مع عمره ، وكلما مرت عليه فترة زمنية أطول وزادت مقاومته للجهود المبذولة لمساعدته دل ذلك على الحاجة إلى مساعدة متخصص لحل المشكلة (6) . وتبعاً لذلك فقد حظيت رعاية الطفولة باهتمام عالمي واسع النطاق على مستوى الأمم المتحدة وما أصدرته من إعلانات ومواثيق ، وما صاغته من اتفاقيات جاءت جميعها لتؤكد هذه الأهمية ولتشير إلى الإجماع العالمي في الاعتراف بالطفل وحقوقه ومسؤوليات رعايته والاعتناء به ومساعدته على شق طريقة في الحياة ، والمساهمة الإيجابية في دفع عجلتها ، وفي هذا السياق جاء ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الطفل عام 1959 ليؤكد على هذه الأهمية ، وليضع العالم أجمع أمام مسؤوليات محددة تجاه فلذات الأكباد وصانعي المستقبل ، ثم جاءت الاتفاقية الدولية لرعاية الطفولة في نهاية الثمانينيات لتحول هذا الميثاق إلى اتفاقية تعاقدية يكون التصديق عليها بمثابة الالتزام الدولي ، وتخضع الدولة المصدقة عليها لكافة الشروط والبنود الواردة في الاتفاقية ، وعلى المستوى العربي اتخذت الأبعاد المهمة لرعاية

6. شارلز شيفر, هوارو سليمان, مشكلات الأطفال المراهقين و أساليب المساعدة فيها, ترجمة نسيمة داود, نزيه حمدي عمان: منشورات الجامعة الأردنية, ص1-2.

الطفل العربي والاهتمام به ، مسارات محلية جاءت في شكل قرارات وقوانين وإعلانات تهتم بالطفولة وتنص على حقوقها وعلى مسؤولية رعايتها في عدد كبير من الأقطار العربية ، أما المسارات الموحدة للأمة العربية في هذا المجال فقد جاءت في شكل إعلان عن حقوق الطفل العربي غطى جوانب ذات منطلقات لها أهميتها في مجال رعاية الطفولة في الوطن العربي الكبير ، وقد استمد هذا الإعلان منطلقاته من عقيدة الأمة العربية ومن تراثها الفكري والحضاري , ومن التزاماتها الدولية كعضو له أهميته في المجتمع الدولي ، وهكذا تؤكد هذه المواثيق والإعلانات على أن الأطفال في أي مجتمع هم أساس استمراريته وتقدمه ومعقد آماله ، فإذا لم ينالوا ما يحتاجون من رعاية وعناية في إطار من الفهم العلمي ، فإن هذا الأمل وذلك الطموح الذي يعقده المجتمع على أبنائه سيكون عرضة للضياع ومدعاة للفشل ، وتتبدد تبعاً لذلك جهود المجتمع وتهدر مقدراته وتزاد احتمالات تخلفه (7).

أما على مستوى مجتمعناً الليبي فقد ظهرت بوادر الاهتمام برعاية الطفولة في الجماهيرية منذ عهد ثورة الفاتح من عام 1969 واعتبرت الثورة رعاية الطفولة الرعاية الصالحة أحد شروط ومتطلبات التنمية الشاملة للمجتمع العربي الليبي ، وقد ظهر إيمان الثورة بأهمية الطفولة في الكثير من التشريعات الاجتماعية والضمانية التي صدرت في عهد الثورة منها قانون رقم (**11**) لسنة 1970 بشأن الجمعيات الأهلية ، وقانون تشغيل الأحداث عام 1970 وقانون رقم (**5**) لعام 1987 بشأن المعاقين ، والتي تهدف جميعها إلى رعاية الطفولة الرعاية الاجتماعية الصحيحة وحمايتها ، وتضمنت كذلك خطط التنمية الثلاثية (**1973-1975**) والخماسية (**1981-1985**) " **التأكيد على توفير الحماية والرعاية والتوجيه والتنشئة الصالحة للطفولة والشباب ، والاهتمام بالأسرة باعتبارها الخلية الأولى والأساسية في المجتمع والمحافظة على وحدتها وتكاملها**" ، ومن مظاهر الاهتمام بالطفولة في الجماهيرية أيضاً تشكيل "**اللجنة العليا**

7. عبد السلام الدويبي, حقوق الطفل و رعايته, مصدر سابق, ص 14-15.

للطفولة" ، والتي تكونت في أعقاب لقاء قائد الثورة مع أساتذة علم النفس والاجتماع والأخصائيين الاجتماعيين وأطباء الأطفال والمحققين والمهتمين بشؤون الطفل يوم (**29 أكتوبر 1990**) والتي تعلق على جهودها آمال كثيرة في رعاية الطفل في الجماهيرية ، والتي أكدت على حق الطفل في الرعاية والتنشئة الاجتماعية الصالحة ومنحه الفرص الكافية لاكتشاف وتنمية استعداداته وحقه في الحماية والوقاية من الأمراض ومن أي شكل من أشكال الاستغلال والتأكيد على أهمية تحقق الوعي العام بين جماهير شعب الجماهيرية بأهميته تربية الأطفال ورعايتهم لصالح الطفولة وصالح المجتمع الذي تعيش فيه (8).

ثانيا : الأسرة مفهومها ودورها في رعاية الطفولة

الأسرة هي من أهم النظم الاجتماعية وأقدمها ، وهي موجودة في كل المجتمعات الإنسانية في العالم ، وعبر التاريخ لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات ، فهي نواة المجتمع ، وهي تعكس صفاته ، وهي ذات أشكال متعددة ، وتبعاً لذلك اختلف علماء الاجتماع في تعريفها ، واصطلاح الأسرة الذي يقابل لفظ (Family) بالإنكليزية يعني معيشة رجل وامرأة أو أكثر على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع ، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات كرعاية الأطفال المنجبين وتربيتهم ، ثم امتيازات كل من الزوجين إزاء الأخر وإزاء أقاربهم وإزاء المجتمع ككل ، ويعرفها كل من (**برجس ولوك**) في كتابهما الأسرة (The Family) بأنها جماعة من الأفراد يربطهم الزواج والدم والتبني ، يؤلفون بيتاً واحداً ، ويتفاعلون سوياً ولكل دوره المحدد كزوج أو زوجة ، أب أو أم أو أخ أو أخت مكونين ثقافة مشتركة ، أما (**العائلة**) فهي تطلق على الجماعة التي تقوم في مسكن واحد ، وتتكون من الزوج والزوجة و اولاد هما الذكور أو الإناث المتزوجين والاولاد المتزوجين وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم أو العمة والابنة

8. عمر محمد التومي الشيباني, من أسس رعاية الطفولة العربية, مصدر سابق, ص 70-76.

الأرملة الذين يقيمون في مسكن واحد ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تحت إشراف رئيس العائلة (9).

أما (أوجبرن ونمكوف) فيعرفان الأسرة بأنها منظمة دائمة نسبياً تتكون من زوج وزوجة مع أطفال أو بدونهم ، وتتكون من رجل وامرأة على انفراد مع ضرورة وجود أطفال وتربط هؤلاء علاقات قوية ومتماسكة تعتمد على أواصر الدم والمصاهرة والتبني والمصير المشترك (10) .

فالأسرة هي الوحدة الاجتماعية في كل ثقافة ، وهي المسؤولة عن إعداد الطفل ثقافياً حتى يتمكن من الحياة فيها ، فهي التي تنقل إليه الآراء والأفكار والمعتقدات والقيم والعادات السائدة في ثقافته ، غير أن وظيفة الأسرة لا تقتصر على ذلك إذ أن كل أسرة تختار من بين ما هو سائد في ثقافتها ما تنقله إلى أطفالها وما لا تنقله ،كما أنها تفسر لهم ما تنقله من وجهة نظرها الخاصة وتبعاً لذلك نجد أن أطفال الثقافة الواحدة يختلفون فيما بينهم (11)، والأسرة هي الجماعة الأولى التي يتلقى فيه الطفل الكثير من عادات المجتمع وتقاليده الأخلاقية والدينية ، وهي البيئة الاجتماعية الأولى التي تطبع الطفل بطابعها ، وهي تقوم بالعناية بالأطفال وتربيتهم وما يصاحب هذا من تعليم و تأديب، و ما يقابل ذلك من الطاعة و الاحترام، فالطفل يولد و لا يعرف شيئا عن المجتمع الذي ولد فيه، وعليه أن يكتسب التراث الاجتماعي من خلال معيشته في المجتمع, و هكذا فإن الأسرة كنظام يحافظ على الضبط الاجتماعي، من خلال الأسرة يكتسب الطفل شخصيته ويتكون ذاته و نتيجة احتكاكه في حياته المبكرة بأعضاء العائلة ، و المواقف التي يواجهها وردود الفعل العاطفية التي يمر بها، و يكتسب الفرد مكانته الاجتماعية من الأسرة التي ولد و تربى فيها، و ذلك في ضوء مؤشرات العمر و الجنس، و نظام الولادة ، و انتماء الأسرة إلى طبقة ما، كما تحدد الأسرة الفرض و المكافآت و التوقعات بالنسبة

9. حسين عبد الحميد احمد رشوان, المجتمع المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية, 1990, ص140-141.

10. إحسان محمد الحسن, العائلة و القرابة و الزوج, دار الطليعة, بيروت, 1981, ص 10.

11. سعد جلال, الطفولة و المراهقة, دار الفكر العربي, طبعة ثانية, 1977, ص124.

لأعضائها(12).

و للأسرة أهمية كبيرة في حياة الإنسان، و ذلك لأنها من ناحية تعتبر مصدر خبرات إيجابية حيث يشبع الطفل عن طريقها معظم حاجاته، و من ناحية أخرى تعتبر المظهر الأول للاستقرار و الاتصال بالحياة، و لذلك فإن استقرار شخصية الفرد و تفاعله البناء مع الواقع يعتمد اعتمادا كبيرا على ما يسود الأسرة من علاقات مختلفة، فالطفل ينمو نفسياً في إطار الأسرة، إذ تتشكل شخصيته على وجه الخصوص عن طريق التقليد والمشاركة في تصرفات الأم و الأب، فالتركيب العقلي و الأكثر عمقاً للطفل يتكون لديه عن طريق تقليد والديه أو معارضتها، فالطفل يعتمد على والديه اعتماداً وثيقاً ليس على المستوى الجسدي و المادي فحسب، بل أيضا على مستوى نموه الوجداني والنفسي، فإذا كانت الأسرة تقدم أمثلة غير مرضية أو هابطة أو عدائية للسلوك، فإن من شأن ذلك أن يشوب نمو الطفل بالاضطراب، و كثير من حالات عدم التكيف والشذوذ ومشكلات السلوك تنشأ عن الأب والأم ، كما أن كثيراً من الأطفال الذين يعانون من عدم التكيف ينحدرون من اسر يكون المناخ السائد فيها لا يبعث على الشعور بالأمن ، وينتج عن ذلك عدد من العثرات الاجتماعية (**الانحراف , و الأمراض العقلية , وعدم التكيف**)، غير أنه مع ذلك فإن حالة الأباء و الأمهات وردود الفعل الوجداني لديهم ، وإحساسهم الداخلي بالأمن يتوقف في جانب منه على الظروف المادية و الاجتماعية التي تعيش فيها الأسرة ، بمعنى أن تقديم مساعدة مالية كافية ، أو تقويم إجتماعي لهذه الأسرة يمكن أن يسهم في استتباب الأمن الاجتماعي وانتشار الهدوء في المناخ الأسري، ويسهم بالتالي في زيادة تأثير الأسرة إيجابياً في عملية نمو الطفل (**13**).

وتقوم الأسرة بعدة وظائف تساعد الأطفال على الحياة اجتماعيا من خلال التكيف مع الوسط الذي يعيشون فيه ، وأهم وظائف الأسرة هي الوظيفة التربوية **ويمكن**

12. حسين عبد الحميد رشوان, مصدر سابق, ص 149.

13. جورج موكو, التربية الوجدانية و المزاجية للطفل, ترجمة منير العصرة, و نظمي لوقا, دار المعرفة, القاهرة, 1978, ص9.

تحديدها بالأتي : -(14)

1- إعداد الطفل للمشاركة في حياة المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية .

2- مد الطفل بطرق وأساليب التكيف مع المجتمع حيث تهيئ له تجارية الأولى مع الحياة.

3- تتسم التجارب الأسرية بسمة الاستمرار والتكرار ، حيث إن الطفل يقضي في رحاب الأسرة أكثر مما يقضي في أي وسط آخر .

4- يتلقى الطفل من أسرته مبادئ الأخلاق وطرائق السلوك ، وما يظهر من فروق في السلوك والتصرفات بين الناس إنما يعود جانب كبير منه لأسرهم وأسلوب حياتهم .

5- يتعلم الطفل في الأسرة اللغة والتعبير ، طريقة الكلام ، وكلما كانت العادات اللغوية في الأسرة واضحة ودقيقة ، كان الطفل أقدر على التعبير الصحيح .

6- يتعلم الطفل من الأسرة معاني العطف والتعاون والتضحية واحترام الآخرين .

7- تدعم الأسرة أفرادها من النواحي النفسية و الاجتماعية و الإقتصادية .

ثالثا : المجتمع , مفهومه , ودوره في رعاية الطفولة

لكل مجتمع سواء أكان مجتمعاً صغيراً أم كبيراً طابع اجتماعي عام يتصف به ، فمن الممكن أن نقول إن هناك مجتمعات لها تأثير طيب على الأفراد ، بينما هناك من جهة أخرى مجتمعات لها تأثير رديء على أفرادها ، ومن الممكن من جهة أخرى أن تجد مجتمعات تتصف بالتماسك الشديد و بالتأثير المباشر في الأفراد، بينما توجد من جهة أخرى مجتمعات قليلة التماسك، ولا تضغط بشكل مباشر على الأفراد (15) .

ويعرَّف علماء الاجتماع المجتمع الإنساني بأنه جمع من الأفراد بينهم شبكة من التفاعلات والعلاقات الاجتماعية، سواء كانت هذه العلاقات إيجابية أم سلبية واضحة ومستقرة ومنتظمة أم أنها تسير نحو الثبات والاستقرار. إن مثل هذا الفهم للمجتمع الإنساني لا يحدد حجماً معيناً للمجتمع فقد يتسع هذا المجتمع ليشمل العالم بأكمله, أو

14. د. أحمد الفنيش, أصول التربية, الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان, مصراتة, 1991, ص44.

15. يوسف ميخائيل سعد, رعاية الطفولة, دار نهضة مصر للطباعة و النشر, القاهرة, 1979, ص 135.

قد يضيق حتى يقتصر على عدد من الأفراد يدرك كل منهم وجود الآخرين إدراكاً يجعله يتأثر ويؤثر في سلوك الآخرين وتكون آماله وأهدافه متوحدة معهم (16) , والمجتمع في أبسط معانيه نتاج لعملية تفاعل بين الأفراد يمارسون أنشطة فكرية وبدنية تمكنهم من تحقيق أهداف ومصالح مشتركة، ونتيجة لهذه التفاعلات المستمرة تتكون في المجتمع أنماط من السلوك وأساليب في التفكير والتفاعل مع البيئة، وتميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات يطلق عليها ما يعرف بعلم الاجتماع الثقافي (Culture), فالثقافة إذن تعني معتقدات الناس وعاداتهم وتقاليدهم ولغة التفاهم بينهم، وأدوات الإنتاج وما أنشأه المجتمع من مؤسسات إجتماعية ، أي أنها من أساليب الحياة التي أنتجها الناس وينتجها المجتمع ويتعلمها ويعلمها، وينقلها إلى الأجيال الناشئة عن طريق التنشئة الاجتماعية(17) ، أي أن نقطة البداية في أي مجتمع هي وجود مجموعة عددية من الأفراد يعيشون ويعملون معاً على مدى طويل ، ويستمر وجود هذه الجماعة وقتاً كافياً يشبع خلالها الأفراد حاجاتهم ، ويصطبغون بالصبغة الاجتماعية ، فيجعل ذلك منهم جماعة منتظمة تفكر في نفسها وتميز كيانها وكيان الجماعات الأخرى ، وبذلك تتحول بيئتهم الطبيعية إلى بيئة ثقافية ، تنتقل فيها الأشياء إلى أدوات وموضوعات وأنظمة ذات معانٍ بالنسبة لهم ولكيانهم الاجتماعي (18) .

إن كل نظام اجتماعي كما يرى علماء الاجتماع **يتكون من ثلاثة جوانب هي :-** الجانب الاجتماعي و الثقافي والشخصاني (**الشخصي**) ، فالجانب الاجتماعي يتكون من نمط من العلاقات الاجتماعية المستقرة نسبياً و التي توحد بين الناس ، بينما الجانب الثقافي يتكون من مجموعة من القيم والمعايير والأعراف و الأشياء المادية الأخرى . وهنا تظهر قضية كيفية ربط الجانب الثالث (**الشخصي**) بالجانب الاجتماعي و الثقافي ، فالإنسان يقوم من خلال تفاعله مع الآخرين بتكوين علاقات تكون في مجموعها شبكة

16. فهمي سليم الغزوي و آخرون, المدخل على عالم الاجتماع, دار الشروق للنشر و التوزيع, عمان, 1992, ص180.

17. د.أحمد الفنيش, أصول التربية, مصدر سابق, ص 37.

18. محمد الهادي عفيفي. التربية و التغير الثقافي, مكتبة الانجلو, القاهرة, 1962, ص32.

اتصال بين الأدوار الاجتماعية المكونة للنسق ، و يعتمد أداء الدور على ما يرتبط به من معايير و قيام الفردية يربط بين هذه المستويات، و قيام الإنسان بالدور كسلوك متوقع يستلزم تعلم السلوك المتوقع من خلال تفاعله مع الآخرين. و لا تقتصر عملية التفاعل هذه على تأثير الفرد بالجماعة و ثقافتها، بل يمتد إلى تأثير الفرد في أنماط العلاقات و ثقافة الجماعة(19).

إن الطبيعة المميزة للإنسان تجعله قادراً على تنظيم الكثير من جوانب حياته تنظيماً محكماً، و لتحقيق هذا الغرض ينبغي على الناس أن يضعوا قواعد محكمة و إجراءات منتظمة ، و أن يخلقوا قدراً من التنسيق و التكامل بين أفعالهم في سبيل المحافظة على بقائهم و استمرارهم، و من خلال عملية وضع هذه القواعد يتوصل الناس إلى خلق الوحدات الأساسية للتنظيم الاجتماعي.

و إذا ما أريد للحياة أن تبقى و تستمر فلا بد من توفر بعض الشروط التي يجب أن يحققها المجتمع، فضلاً عن ذلك يسعى الإنسان دائماً نحو تحقيق أهداف إجتماعية وشخصية، تلك الأهداف التي تتخذ طابعاً شرعياً من خلال الثقافة. و بهذا المعنى يمكن القول أن معظم الأفعال الإنسانية تتصف بالمعقولية أو الرشد و أن ذلك هو الأساس الذي بدونه تصبح الحياة الاجتماعية صعبة التحقيق(20).

و أخيراً يمكن القول: **إن فهم المجتمع و دراسته يتطلب التعرف على مجموعة من الأسس أهمها:-**(21).

1- إن المجتمع لا يوجد مجرداً، و إنما هو كيان حي ديناميكي في تطور دائم و مستمر ، وتتأثر وظائفه و العلاقات بين أفراده و جماعاته و تنظيماته السياسية، و قيمه بنوع الحياة الاقتصادية التي يقوم عليها و بما يستخدم في هذه الحياة من وسائل إنتاج .

2- إن المجتمع يقوم على جهد كل فرد من أفراده لتحقيق الكفاية عن طريق ارتباطه

19. د. إبراهيم عثمان. مقدمة في علم الاجتماع, دار الشروق للنشر و التوزيع, الطبعة الأولى, 1999, ص181.
20. اليكس أنكلز , مقدمة في علم الاجتماع ,ترجمة محمد الجوهري و آخرون, دار المعارف, القاهرة, 1981, ص134.
21. محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية, مكتبة الأنجلو, القاهرة, 1970, ص66-78.

بالأفراد الذين يسعون إلى إشباع حاجاتهم بطرق تشبه طرقه في سعيه إلى تحقيق هذه الحاجات.

3- إن الأفراد في تعاملهم و قيامهم بجهود مشتركة لتحقيق حاجاتهم يعملون على تنظيم هذه الجهود عن طريق ما نسميه بالتنظيم الإجتماعي.

4- إن كل مجتمع يتضمن تشكيلات من الأنماط التي ينبغي أن يكون عليها السلوك بين الأفراد و الجماعات الذين يكونون المجتمع. و جوهر هذه الأنماط يمكن أن نسميه **(بالتجاوب)**.

5- إن نشأة الفرد في الجماعة و ارتباطه بها ونموه في إطارها يؤدي به إلى أن يتبني مسؤولياتها و سلوكها و الدفاع عنها .

رابعاً: أهمية التكامل بين الأسرة و المجتمع, و انعكاس ذلك على تربية الأطفال

إن تنظيم الحياة الاجتماعية و استمرارها و تغيرها هو نتيجة للنشاطات الفردية ضمن إطار الجماعة، فالتفاعل بين الأفراد , و الانتظام في جماعة يؤدي إلى قيام علاقات فتشكل هذه الجماعات و طبيعة العلاقات بين الأفراد مفهوم المجتمع. و بهذا تصبح للجماعات كالأسرة و الطبقة و التنظيمات أهمية في تحديد معنى المجتمع.

و يعبر (رالف لنتون) عن هذا التوجه بالقول: "إن المجتمع يتألف من مجموعة من الناس عاشوا و عملوا معاً بما فيه الكفاية لينتظموا أو ليروا أنفسهم كوحدة إجتماعية ذات معالم و حدود واضحة(22). و انبثق عن مثل هذه التصورات للمجتمع ما يسمى بنموذج الاتصال، و يقوم على تصور المجتمع كشبكة معقدة من الاتصالات، فالاتصال يؤدي إلى التعارف و إلى قيام علاقات، و تنظيم مشاركة في الحوار و التفاوض، و محاولة التأثير في الآخرين، و الاستجابة لحالاتهم. و يقوم هذا التفاعل من خلال نظام رمزي يسمح بنقل المعاني و تبادلها، بحيث يستطيع الإنسان في الجماعة مشاركة الآخرين أفعالهم

22. د. إبراهيم عثمان, مقدمة في علم الاجتماع, مصدر سابق, ص91.

و أفكارهم و شعورهم . فمع الزمن يتطور فهم مشترك و مشاركة في مواجهة القضايا والمشكلات، كما أن وجود نظام رمزي يسمح بنقل ما تراكم من معرفة و ثقافة للأعضاء الجدد، فيتحول هؤلاء إلى أعضاء يدركون ما هو مقبول، و ما هو مرفوض، وما هو متوقع اجتماعيا، و كيف يقومون بأدوار تحتاجها الجماعة "

فالنظام الرمزي هو إذن أساس الاتصال يولد ثقافة المجتمع، فتصبح للعضوية أهمية من حيث من هم في الجماعة و من هم خارجها، يميزهم طريقة حياة تتطور عنها هوية اجتماعية تحدد (**النحن و الآخرين**) ، أي أن التفاعل و الاتصال يولدان أنماطاً إجتماعية ثقافية تميز جماعة إنسانية عن أخرى. و يتضمن هذا قيام نوع من الطرق و القواعد الثابتة نسبياً للتفاعل، أهم نتائجها قيام تنظيم اجتماعي يشمل بنية تتوزع فيها الأدوار والمكانات يطلق عليها البناء الاجتماعي، و إلي جانب هذا قيام ثقافة ، وكل مجتمع يحاول المحافظة على كيانه و استمراريته و ذلك بدمج الأعضاء الجدد و الحرص على ما قاموا به من نظام و مؤسسات و تنظيمات كما يطور كل مجتمع أساليب و طرقاً للاستجابة للتحديات، و تلبية حاجات أعضائه(23).

فالبيئة الاجتماعية إذن تؤثر في نمو الطفل تأثيراً فعالاً، حتى إنها يمكن أن تكون من أقوى العوامل الاجتماعية الأخرى، ذلك أن الطفل يحمل الاستعداد لجميع الفضائل الإنسانية ، و البيئة الاجتماعية هي التي تلعب الدور الرئيسي في تفتح هذه الفضائل الإنسانية، أو منعها، و هي التي يمكنها أن تصنع من الطفل مجرد حيوان صغير أو معتوه بدائي التصرف، أو يصنع منه كائناً متمدناً يخضع لمقتضيات العقل، و ذلك بشرط أن يكون الطفل خاضعاً لهذه الظروف الاجتماعية منذ ولادته , و بدون الاحتكاك الإنساني فإن الطفل لا يستطيع أن يحيا اجتماعياً، و يظل الطفل كالذئب أو الوحش الذي يعيش في عزلة عن البشر، و إذا شب الطفل في بيئة عصبية فإنه يصبح عصبياً، و إذا شب في مجتمع غير متطور أي بدائي فإنه يأخذ عنه مفهوماته و أنماط سلوكه ، أما إذا كان هذه

23. المصدر نفسه, ص92.

المجتمع متطورا فإنه سوف يتكيف معه أياً كانت قيمته الثقافية(24).

إن البيئة المحيطة بالطفل تتكون بطبيعتها من مجموع الظروف و الواقف و الأعمال التي يمارسها الإنسان، و هي ذات اثر تربوي سواء أدركنا ذلك مباشرة أم لم ندركه ، ويؤكد (**جون ديوي**) ذلك بقولة: "أننا لا نربي تربية مباشرة أبداً بل نربي تربية غير مباشرة باللجوء إلى البيئة ، و الفرق عظيم جداً بين أن تدع للبيئات أن تقوم بتربية النشء بطريقة الصدفة، و بين أن نصوغ نحن البيئات التي نريدها لتربيتهم و تهذيبهم ، و أياً كانت البيئات فهي بيئات مصادفة من حيث عملها التربوي ما لم تنظم عمداً بالنسبة إلى أثرها التربوي, فالبيت المثقف يمتاز عن البيت الجاهل بأن عادات الحياة و أساليب التعامل الشائعة فيه تكون متميزة أو على الأقل مصطبغة بفكرة إن لهذه العادات تأثيراً في نمو الأطفال(25)".

لقد أوكل المجتمع مهمة تنشئة و إعداد الطفل إلى عدد من المؤسسات الاجتماعية ، وأهمها على الإطلاق الأسرة ، و ترجع هذه الأهمية لسببين جوهريين.، الأول باعتبارها البيئة الأولى التي يولد و يعيش و ينمو فيها الطفل خلال السنوات الأولى من مراحل حياته، و الثاني، أن أساس أو بداية تكون الشخصية الإنسانية إنما يبدأ في الطفولة و خاصة المبكرة منها ، و هذا يعني أن الأسرة هي أول مؤسسات المجتمع التي تقوم بتشكيل وتحديد شخصية الطفل ، أضف إلى ذلك أن الأسرة باعتبارها من أهم عناصر البناء الاجتماعي، إنما تتمثل و تعكس أوضاع و خصائص مجتمعها، و بالتالي تعكس ذلك على الطفل، نفسه بواسطة طرق و أساليب التنشئة الاجتماعية، بما يعني تأثير الطفل في نموه و تنشئته بالمستوى الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي لأسرته(26).

إن مسؤولية الأسرة في تربية و رعاية الأطفال ترتبط ارتباطاً شديداً بتقدم أو نجاح

24. جورج موكو, التربية الوجدانية و المزاجية للطفل, مصدر سابق, ص91.

25. جون ديوي , الديمقراطية و التربية, ترجمة منى عقراوي, زكريا ميخائيل, مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر, القاهرة,1954,ص20.

26. فائد أحمد الشرجي, التنشئة الاجتماعية للطفل في قرية ليبية بين الأمس و اليوم, مصدر سابق, ص263.

التحصيل العلمي للفرد ، كما إن الخبرات الأسرية تؤثر في الكثير من الأحـــيان على نمو شخصية الفرد ، فإذا كانت الأسرة و المدرسة وسائل المجتمع الأساسية لإعداد الشخصية و تحقيق نموها ، فإن الفرد عضو في أســـرة تغرس فيه المفاهيم و القـــيم و الاتجاهات التي يؤكدها المجتمع ، و التي توفر للفرد فرصة لتكوين علاقـــــات اجتماعية مع من يتفاعل معهم، و ما يتلقاه الفرد من تدريب اجتماعي في محيط أسرته الذي يترك بـــصماته على شخصيته و اتجاهاته ، و أنماط سلوكه مع الآخرين، فالأطفال بشخصياتهم التي صاغتها الأسرة يمثلون عضواً في محيط المدرسة, يتفاعلون مع زملائهم و مدرسيهم، و بقـــدر ما يكونون متوافقين اجتماعياً في محيط الأسرة يتحدد مستوى تكيفهم في محيط المدرسة.

و **بقدر** ما يكونون متوافقين اجتماعية في محيط الآسرة و المدرســـة تتوفر لهم فرص الاستقرار و الرغبة و المثابرة لتحصيل العلم، و اكتســـاب الخبرات والمهارات التي يعتمد عليها تقدمهم الدراسي، و يشير التوافق الاجتماعي لدى تكيف المكتسبات الســـلوكية للأطفال مع أنماط السلوكية و طرائق الحياة السائدة في محيط الأسرة و المدرسة ، و بذلك يكون لتوافق الأطفال بعده الشخصي الذي يعبر عنه تكيف اتجاه الأطفال و ســـلوكهم طريقة الحياة في محيط الأسرة و المؤسسة التعليمية، و بعده الثقافي المتمثل في اكتســـاب الأطفال لقيم و معايير المجتمع و التي توجه اتجاهاتهم و سلوكهم ، و بـــعده الاجتماعي الذي يعبر عنه الأطفال في قدرتهم على الاتصال و التفاعل في محيط الآسرة و المدرســـة ، ولهذه الأبعاد الثلاثة أثرها في التحصيل الدراسي للأطفال، و الشكل الآتي يوضح التفاعل بين مؤشرات التوافق الاجتماعي و بينها و بين مؤشرات التحصيل الدراسي(27):

27. د. فلدية الجولاني, علم الاجتماع التربوي, مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, 1993, ص300-302.

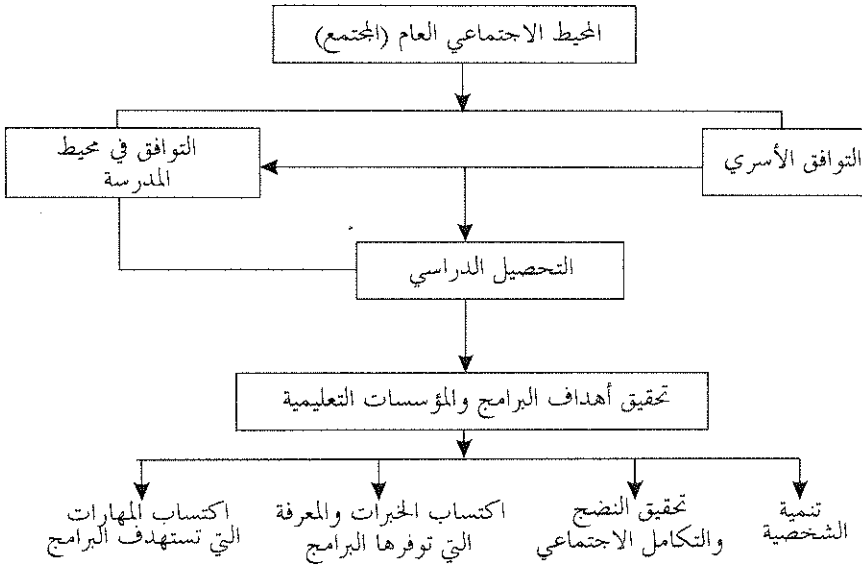

ومما تقدم يمكننا القول أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولي تتحمل مسؤولة تربية وتنشئة الطفل في مراحله العمرية الأولى ، فتقوم بغرس قيم و عادات وتقاليد الأسرة و المجتمع وحسب الثقافة السائدة ، ومنها تتكون شخصية الطفل ، وبعدها تأتي المدرسة فتتلقى هذا الطفل لتحافظ على قيمه الاجتماعية التي تمثل قيم الأسرة والمجتمع الذي نشأ فيه ، وتزيد عليها القيم التربوية والثقافية ، وما دامت الأسرة والمدرسة هما من مؤسسات المجتمع المهمة لذا فمن الضروري أن يرتبطا بعلاقات وثيقة لضمان بلورة شخصية الطفل والمحافظة على سلوكه وحمايته من الانحراف والاستغلال من قبل الآخرين أفراداً أو جماعات أو مؤسسات .

خامساً : الآفاق المستقبلية للطفولة في ظل عالم متغير

يقرر الكثير من العلماء أن الدعائم الجوهرية لحياة الإنسان الراشد تقوم على ما يتلقاه من رعاية و عناية و اهتمام ، و ما يتعرض له من مشاكل و صعوبات في طفولته ، و ما يعيشه من تجارب و خبرات، و ما يتلقاه من توجيه و ارشاد ، لهذا كانت مرحلة الطفولة

من أهم المراحل في مسيرة نمو الإنسان و أكثرها تأثيراً في بناء شخصيته، ففي هذه المرحلة تبدأ أغلب الاتجاهات النفسية و الاجتماعية و الصحية ، و فيها يبدأ الفرد في اكتساب و تنمية قدراته التفاعلية مع بيئته و المحيطين به ، و يؤكد الكثير من الباحثين في مجال علم النفس الاجتماعي على أهمية مرحلة الطفولة في حياة الإنسان و تكوينه ، لأن الطفل في رأيهم و عند ولادته هو عبارة عن كائن حي إنساني قابل لأن يكون شخصياً معيناً بحسب الظروف الاجتماعية والنفسية والصحية التي يوجد فيها ، وأن عمليات التنشئة والتطبيع الاجتماعي وعلاقات الحب والعطف والحنان التي يتلقاها الطفل في أسرته وبيئته تلعب دوراً رئيساً في تشكيل شخصيته وتحديد هويته ، ويزيد من أهمية مرحلة الطفولة في عمر الإنسان درجة اعتماد الطفل على غيره وزيادة معدلات النمو الجسمي والنفسي والاجتماعي ، بحيث أن أي إرباك أو اختلال يصاحب أي مظهر من مظاهر النمو يكون سبباً في تأخير واختلال تكامل النمو (28) ، وما دام الطفل يمثل عنصراً مهماً في تكوين الأسرة التي تمثل في الوقت نفسه أحد الوحدات المهمة المكونة للبناء الاجتماعي لأي مجتمع ، فإنهما يتأثران بمجمل التغيرات التي تمر بها مجتمعات العالم المختلفة ، خاصة إذا ما علمنا السرعة الكبيرة للتغير في عصرنا الحالي . والتغير الاجتماعي مهم لأنه يتعلق بالفرد والمجتمع ، وأن هذه الظاهرة ملازمة للمجتمع البشري ، فالمجتمعات الإنسانية دائماً في تغير ، وتختلف درجة التغير من مجتمع لآخر حسب طبيعة الظروف والمؤثرات الداخلية والخارجية ، وقد استعمل هذا المفهوم من قبل علماء الاجتماع للتعبير عن ظاهرة التحول والنمو والتكامل والتكيف والملاءمة ، وأهمية التغير تظهر بأنه لا يوحي بأحكام تقويمية مثل حسن أو سيئ أو خير أو شر ، ولكنه يقرر الواقع كما يكون في المجتمع (29) .

أما " **مصطفى الخشاب** "فيرى بأن التغير الاجتماعي هو كل تحول يحدث في النظم

28. عبد السلام الدويبي, حقوق الطفل و رعايته, مصدر سابق, ص15-16.

29. د. محي الدين صابر, التغير الحضاري و تنمية المجتمع, دار المعارف بمصر, 1992, ص73.

الاجتماعية ، سواء أكان ذلك في البناء أم في الوظيفة خلال فترة زمنية محددة ، ولما كانت النظم في المجتمع مترابطة ومتكاملة بنائياً ووظيفياً، فإن أي تغير يحدث في ظاهرة لابد أن يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الفرعية والتي تصيب معظم الحياة الاجتماعية بدرجات ومتفاوتة ، ويتطلب التغير في ميدان الحياة الاجتماعية عاملاً أساسياً وهو ضرورة تكيف الأفراد وتربيتهم وحراكهم الاجتماعي وفقاً لما يتطلبه التغير من مستحدثات (30) .

ولذلك يمكن القول أن العوامل الأساسية الكامنة وراء التغيرات التي تطرأ على المجتمعات البشرية تتمثل فيما يلي: (31) .

1- العوامل الدينية والمتمثلة بالدرجة الأولى في ظهور الديانات الكبرى .

2- الثورات والحروب التي تحدث في المجتمعات من وقت لآخر .

3- العوامل البيئية وخصوصاً ما يتعلق منها بالبيئة الجغرافية .

4- العوامل السكانية والمتعلقة بحركات السكان في المجتمع من هجرة ومواليد ووفيات .

5- التحولات العلمية والتكنولوجية .

6- تطور وسائل الاتصال والمواصلات بين المجتمعات .

7- التحولات الاقتصادية و الاجتماعية.

8- ظهور الأيدلوجيات الفلسفية و السياسية.

لقد أصبح التغير في عالمنا المعاصر حقيقة ملموسة للجميع شغلت الفلاسفة و العلماء و الناس العاديين، و من المعطيات التي نتجت عن التغير العلاقة بين عمر الإنسان و عمر الأفكار، و حيث أن تقلص المسافات و التأثير السريع و المباشر للثقافات و الحضارات في بعضها البعض، و سرعة الأحداث و تعاقبها جعل عمر الأفكار قصيرا جدا، هذا من ناحية، و من ناحية أخرى ساعد تقدم الطب الوقائي و العلاجي، و التقدم الذي طرأ على علوم الأغذية على زيادة عمر الإنسان، حتى يكاد يصل إلى الضعف في بعض المناطق

30. مصطفى الخشاب, دراسة المجتمع, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, 1999, ص188.

31. د. أحمد الفنيش, أصول التربية, مصدر سابق, ص63.

من العالم. إذن عمر الإنسان في امتداد مستمر و عمر الأفكار في تقلص مستمر، و عندما نتصفح الماضي نجد أن الناس كانوا يتقبلون في وسط عدد محدود من الأفكار التي توارثها الآباء عن الأجداد، و توارثها الأبناء عن الآباء، يستمر الاعتقاد في هذه الأفكار و العمل بها عدة أجيال دون تغير أحيانا.

إن هذا الوضع جعل الثبات هو المبدأ الذي حرك حياة الناس, أما الآن فان مبدأ التغير قد حل محل مبدأ الثبات، و لعل الشيء الوحيد الثابت الآن هو إن الأفكار و الأشياء تتغير و تنمو بدرجة رهيبة, حتى انه قدر أن المعرفة تضاعفت من عشر مرات إلى خمس عشرة مرة في كل عقد من النصف الثاني من القرن العشرين، كما تقلصت الفجوة بين النظريات و تطبيقاتها(32).

إن التطور السريع للتكنولوجيا دفع إلى حدوث تغيرات في المجالات الاجتماعية، حيث اخرج المرأة من المنزل و ادخلها على عالم الحياة العامة، و لا سيما المصنع والمكتب، كذلك عمل على تغير في وظيفتها الاجتماعية و مضمون ادوار عناصرها، ومجمل الاعتبارات التقليدية بين الجنسين، بالإضافة إلى بروز ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة و ما صاحب ذلك من تفكك الحياة الريفية التقليدية.

و تعقد في الحياة المدنية، كما ساعد على تغير نظام القيم بصورة عامة، و ظهور قيم وعادات و علاقات اجتماعية جديدة(33).

و بناء على المعطيات السابقة، نستطيع القول أن عالم اليوم غير عالم الأمس, وسيكون عالم الغد مختلفا اختلافا جذريا عما ألفناه و ألفه السابقون, و لقد صار عالم اليوم وحدة مترابطة الإجراءات متداخلة الأطراف، متفاعلة في شؤونها و أحداثها وقضاياها, و أدى ذلك إلى ظهور وضع جديد أهم سماته هي (34):

1. اجتاز الإنسان إطار التفاعل مع البيئة المحلية إلى دوامة البيئة العالمية، و لم يعد

32. المصدر نفسه, ص69-70.

33. محمد أحمد الزعبي, التغير الاجتماعي, دار الطليعة للطباعة و النشر, بيروت, 1979, ص71.

34. د.أحمد الفنيش, أصول التربية, مصدر سابق, ص71.

يكفي التصور القائل بأن الإنسان (**ابن بيئته**) حيث أصبحت بيئة الإنسان العالم بأجمعه.

2. اجتاز المجتمع مرحلة الاستقرار الحضاري و الثقافي القائم على تراث متميز، و حاضر مألوف، و مستقبل قابل للتنبؤ إلى دوامة التدخل الحضاري و الثقافي بين المجتمع الواحد ، و باقي حضارات و ثقافات المجتمع البشري.

3. أدت الثورة العلمية التكنولوجية على دفع عجلة النمو و التغير دفعا شديدا بطريقة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإنساني وفرضت هذه التغيرات على المجتمعات تحولات جذرية في قيمها و مفاهيمها و أساليبها الحياتية.

و في ظل كل ما تقدم يمكننا القول أن الطفولة مرحلة مهمة في حياة الإنسان والأسرة هي وحدة اجتماعية مهمة في البناء الإجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات، بل هي أهم وحدة و مؤسسة من مؤسسات المجتمع, من خلال وظيفتها في تربية و تنشئة الأطفال ، لذلك يجب أن تحظى برعاية و اهتمام كبيرين من قبل المجتمع.

و إذا أخذنا في اعتبارنا النتائج المترتبة على ظاهرة التغير سواء بالنسبة للفرد أو الأسرة أو المجتمع ، فماذا يمكننا فعله لمواجهة النتائج السلبية لهذه الظاهرة، و كيف يمكننا المحافظة على الاستقرار الاجتماعي؟ فكما لاحظنا من خلال ما تقدم أن الزمن و المسافة لم تعد دروعا تحمي المجتمعات من تأثيرها في بعضها البعض ، و ذلك نتيجة للتطور الكبير في وسائل الاتصال و المواصلات التي ربطت العالم كله.

على هيئة شبكة واحدة يتدافع في قنواتها البشر والأفكار والأشياء صوب كل اتجاه في استمرارية وكثرة وسرعة لا مثيل لها في تاريخ الإنسان.

إن الوضع الجديد يملي ضرورة تحول التربية من مجرد عملية تتناول الإنسان بالإعداد في مرحلة معينة ولمجتمع معين إلي إستراتيجية تأخذ في الإعتبار ظاهرة التغير بأبعادها ومؤثراتها على الفرد والمجتمع من ناحية ، ومن ناحية أخرى تستوعب الإنسان في كل المراحل العمرية التي يمر بها ، أي صار لزاماً على التربية أن تتحول إلى إستراتيجية لمواجهة

التغير وضاعته وقيادته وإعداد الإنسان إعداداً يمكنه من أن يعي هذه الظاهرة ويقبلها ويواجه احتمالاتها ، ويساهم مساهمة فعالة فيها ، وبناءً على ذلك ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار عند بناء الاستراتيجية التربوية الآتي :(35)

1- طبيعة الإنسان وما تنطوي عليه من خصائص وإمكانات ، أي أن تستوعب الإستراتيجية التربوية بيئة المتعلم الداخلية بجوانبها المعرفية ، وما تنطوي عليه من معلومات وخبرات ، وجوانبها النفسية ، وما تنطوي عليه من ميول واتجاهات ، ومعطياتها الاجتماعية ، وما تتضمنه من معتقدات وعادات ، والبيئة الخارجية بجوانبها الثقافية والحضارية .

2- أن يتجاوز العمل المدرسي جدران المدرسة إلي المجتمع الواسع ويتفاعل مع مؤسساته المختلفة من متاحف ومصانع ومشروعات في مختلف المجالات .

3- أن يستوعب العمل التربوي ماضي المجتمع من تراث وخبرات ، وما في حاضره من حاجات وصعوبات ، وما يخططه للمستقبل من برامج في مختلف المجالات .

4- أن تتضافر جهود المؤسسات الاجتماعية ، وعلى وجه الخصوص المؤسسات الإعلامية والثقافية من أجل توفير العناية المتكاملة بالطفل من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية حتى يتم نموه بطريقة متوازنة .

إضافة إلى ما تقدم ينبغي أن تستند الاستراتيجية التربوية في عملها إلى أساسين هامين **هما:-**

أولا: القيم الأصلية التي يستند إليها تراثنا، و المستخلصة من الدين ، حيث إن في استطاعتها تطوير الفرد و المجتمع على أسس سوية ، و إعدادها إعدادا ذا تأثير للمستقبل.

ثانيا: الاستعانة بالوسائل و الأساليب العلمية و التكنولوجية التي تعيننا على تطوير المجتمع وفق قيمه الأساسية.

35. المصدر نفسه, ص72-73.

فالاستراتيجية التربوية التي يجب اعتمادها اليوم في ظل العالم المتغير، هي التي تعتبر الإنسان الركيزة الأساسية في العمل التربوي، و ذلك لأن الثروة البشرية و النهوض بها هي عماد التقدم في أي مجتمع من المجتمعات، و لذلك يجب أن تأخذ مسألة الاهتمام بالطفولة و رعايتها جانباً كبيراً من مسيرة التغير، بل يجب أن تحدد لها التشريعات والقوانين التي تضمن هذه الحقوق لذلك اعتبرت مسألة تحديد و ضمان حقوق الطفل من المسائل الجوهرية في رعايته, خاصة و أن الطفولة عموماً تتميز بالضعف و العجز عن إشباع الحاجات و تقدير المسؤوليات و حاجتها المطلقة لمن يأخذ بيدها ، و يشبع حاجاتها و يقر بحقوقها، و يضمن تطبيقها، و ذلك لأن الأطفال هم عماد المستقبل وصانعوا الغد بخيره و شره ، و تصنف حقوق الأطفال إلى خمسة أصناف هي(36):

1. **الحقوق المدنية و السياسية** : فالحقوق المدنية و السياسية للطفل بحقه في الانتماء بأن يحمل اسماً و جنسية، و أن يحمي من التعذيب و إساءة المعاملة ، و غيرها من الأمور المرتبطة بحقوق الإنسان في هذا المجال مما له صلة وثيقة بحياة الطفل وسعادته.

2. **الحقوق الاجتماعية**: و تشمل تمتع الطفل بحياة اجتماعية جيدة، و تنشئة اجتماعية مناسبة، و أن يحظى بالرعاية التي تتطلبها حالته و ظروفه.

3. **الحقوق الاقتصادية**: و تتضمن تمتع الأطفال بالمزايا الضمانية، و مستوى معيشي لائق ، و تنظيم عمل الأطفال.

4. **الحقوق الثقافية**: و تشمل حق الطفل في التعليم و التثقيف و الترويح.

و مع كل ما صدر من لوائح و تشريعات لضمان حقوق الطفل و حمايته من الاستغلال في ظل مسيرة التغيير السريع التي تمر بها مجتمعات العالم اليوم, فقد كان الإسلام سباقا لكل هذه اللوائح و التشريعات. فقد اعتبر الإسلام الأطفال زينة الحياة ومصدر جمالها, قال تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ . سورة الكهف الآية

36. عبد السلام الدويبي, حقوق الطفل و رعايته, مصدر سابق, ص22-23.

(46). كما أكد على حقوق الطفل كانسان و حمايته من التعذيب و التنكيل و إساءة المعاملة و الاستغلال و أوضح الملامح الرئيسية لتربيته و حماية أمواله. خاصة في حالات اليتم و ضمان حقه في النسب و الاسم الذي لم ينتبه له العالم إلا في عام 1959 ليجعله نصا للمبدأ الأول من الإعلان العالمي لحقوق الطفل كما ضمن الإسلام حق الطفل في الميراث و الحضانة و الرضاعة و الكفالة التي نص عليها في المادة (20) من اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل الصادر عام 1989 (37).

الخاتمة:

يتضح لنا من كل ما تقدم أن الطفولة مرحلة مهمة في حياة الإنسان, فمن خلالها تبدأ مرحلة النمو النفسي و الجسمي. و الأسرة هي أحد الوحدات الأساسية المهمة التي أوكل لها المجتمع مهمة تربية الأطفال, و تنشئتهم على قيم و عادات و تقاليد المجتمع الأصلية. وفي ظل التغيرات السريعة التي تمر بها المجتمعات في العالم اليوم، و في ظل ظهور العديد من المفاهيم الجديدة كالعولمة والتحديث و العصرنة و تصدير الديمقراطيات إلى شعوب العالم, المصاحبة للتغيرات السريعة في عالم اليوم. يمكننا القول أن عالم الغد مبهم و غير واضح في ظل التداعيات المختلفة على المستوى السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي التي تشهدها مجتمعات اليوم. لذا يجب أن نأخذ في اعتبارنا عند التعامل مع هذه المعطيات أن تضمن استراتيجياتنا التربوية التأكيد على قيم الإسلام العظيمة وتاريخنا الحضاري المشرق, مع توضيح أهمية التغيرات الجديدة حتى نتمكن من تربية أطفالنا على القيم الأصيلة أولا و على كيفية التعامل مع القيم الجديدة التي تفرضها علينا طبيعة الحياة في عالم اليوم ثانيا.

37. المصدر نفسه, ص24.